الحياة الاجتماعية من خلال مشاهد ألعاب الصيد ومبارزة الحيوانات المجسّدة على مواد مختلفة في المغرب القديم

دة./ دليلة بورني

قسم التّاريخ/ جامعة الجزائر2– أبو القاسم سعد الله

الملخص:

يعتبر المغرب القديم أحد الفضاءات الأغنى بالحيوانات البرية في الفترة القديمة والتي موّنت الألعاب الرّومانية بغرض التّسلية والتّرفيه، خاصة المفترسة منها وهذا ما توضّحه مشاهد الفسيفساء والنّقوش والرّسوم.

تمثّل تلك المشاهد ألعاب المصارعة بين الحيوانات نفسها وبيتها وبين الانسان إضافة الى ألعاب السباق، فنجد الخيول، الثيران، الغزلان، الأسود والفهود والنمور والدببة والخنازير البرّية... هذا ما أضفى على الحياة الاجتماعية خاصة الفترة الرومانية نوع من التسلية والترفيه للسّكان عامة والطّبقة الحاكمة خاصة.

الكلمات المفتاحية: الفسيفساء؛ الحيوانات المفترسة؛ المغرب القديم؛ المصارعة.

Abstrat:

Le Magreb antique était à l'époque antique le pays le plus riche en animaux sauvages et il revenait a elle seule a fournir les bêtes pour les jeux de cirques romains. En plus des textes classiques que nous en laisser les anciens viennent les différentes mosaïques, qui nous offrent les combats d'animaux et de chasses dont on distingue les ours, les fauves (lions, panthères, tigres), antilopes et gazelles, et sangliers.

Mots clés: Magreb antique; mosaïques; animaux sauvages; jeux.

انتشرت في المغرب القديم مظاهر اجتماعية للتّسلية وممارسة الصّيد والرياضة ومبارزة الحيوانات، وهي مظاهر جسّمها المجتمع على شكل صور ورسوم نفّذها بأساليب عديدة على مواد مختلفة في طبيعتها، كالرسوم الصخرية والفسيفساء والفخار والرسوم الجدارية، وكان بطلها الإنسان والحيوان ومسرحها البراري والملاعب والمدرجات، وكانت البيئة المغربية القديمة تتوفر على أنواع مختلفة من الحيوانات وبأعداد كبيرة استغلت كمادة تجارية للتبادل بالبيع والشراء والإهداء.

وقد سعى الرومان قبل احتلالهم لبلاد المغرب القديم وبعده إلى استيراد الحيوانات المتوحّشة منه بغرض استخدامها في عروض الصيد (Venatio)، منذ أن وطأت أقدام جنودهم المنطقة بعد القضاء على احتكار القرطاجيين لتجارة الموارد الطّبيعية والحيوانية في غربي البحر الأبيض المتوسط وقد يكون ذلك قبله أي منذ بداية القرن الثاني قبل الميلاد وبشكل مكثّف لاحقا في العهد الإمبراطوري حيث أصبحت الحاجة ملحة لاستيراد الحيوانات المفترسة حيث لم تنقطع عمليات التصدير إلى غاية عهد ثيودوريك حيث ورد في الكتابات القديمة عبارات Ferae lybycae[1]، لذا سنجتهد في بحثنا على محاولة التعريف بألعاب الصيد في المغرب القديم إبّان الاحتلال الروماني من خلال دراستنا لنماذج من مشاهد لوحات الفسيفساء والفخار ورسومات جدران الحمامات المنتشرة عبر مقاطعات المغرب الروماني.

1– Gsell (S.), hist.anc. de l'af .du nord, T.1, éd. Hachette, Paris, 1913, p .110.

مشاهد الصيد في الرسومات والنقوش الصّخرية الصحراوية

من مجمل ما ورد على لسان هيرودوت في القرن الخامس قبل الميلاد، وفرة الثروة الحيوانية في ليبيا، إذ كانت قطعان الحيوانات تجوب على حدّ تعبير المؤرّخ شمال إفريقيا من حدود مصر الغربية حتى سواحل المحيط الأطلسي[1]، كما أنّ بوليبيوس يذكر وجود الفيلة والأسود والفهود بأعداد كبيرة[2].

ومعلوم أيضا أنّ معظم اللّوحات الفنّية المجسّدة فوق واجهات الصّخور، التي هي في الحقيقة مشاهد للبيئة الحيوانية، إنما تعود إلى المراحل الأولى من الفن الصخري في شمال إفريقيا، فهي تتميّز من الناحية التقنية بنحت المشهد وصقله لإظهار الأشكال بارزة على واجهات الصخور وهي تعرف لدى العلماء بمرحلة الصيد والقنص[3]. ولأن الإطار الطبيعي للمغرب القديم متميّز مقارنة ببقية الأراضي المحيطة بالحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، كونه ليس متجانسا من الناحية الجغرافية. فإذا كانت المناطق الشمالية الساحلية ضيقة تحجبها سلاسل جبلية عالية، وأنّها لم تكن في العصر الحجري الحديث تلك صالحة للزراعة ولا للاستقرار، فإن المناطق الوسطى والجنوبية، أي مناطق ما وراء جبال الأطلس التلي، قد استغلّها الإنسان في الصيد والقنص لكونها كانت مليئة بقطعان الحيوانات[4].

وممّا يلفت النّظر في مشاهد الصّيد التي حفظها لنا أسلافنا والتي تعود إلى مختلف حقب العصر الحجري الحديث، تطوّر أساليب الصيد والقنص لدى أهالي بلاد المغرب في العصور الحجرية، وهذه الأساليب التي يصعب حصرها كلها في مقالنا هذا، تنقسم في رأينا، إلى مرحلتين نوجزها فيما يلي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة الصيد والقنص مشيا على الأقدام، أي أن الإنسان كان يتنقل راجلا لترصد قطعان الحيوانات بغرض قنصها، وكان الصيد في هذه المرحلة نفعيا يرتكز على توفير الغذاء لأفراد القبيلة، وعن هذه الطريقة يمكن لنا الاحتكام إلى نقش صخري صحراوي من واد جرّات في الطاسيلي، يعود تاريخيا إلى هذه المرحلة، يمثل شخص ممسك بحربة يوشك أن يلقي بها صوب نوع من الماعز البريّ مستعينا في هذه العملية بثلاثة كلاب صيد هي ربّما أسلاف كلاب السلوقي الحالية لشبه قريب بينهما[5].

المرحلة الثانية: ارتكز خلالها الصيد بالإضافة إلى مواصلة الصيد الراجل على استعمال العربات، ومن بين الأسباب التي تجعلنا نميل إلى الاعتقاد بممارسة الصيد والقنص الترفيهي خلال هذه المرحلة، ظهور طبقة في مجتمع مغرب العصر الحجري الحديث تستعمل العربات في المباهاة وإبراز المكانة المرموقة،

1- Hérodote, histoires, IV, 174; 181.

2- Polybe, XII , 3, 5-6

3- العدواني محمد الطاهر، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج. 1، ص. 247.

4- نفسه، ص. 233.

5- الشكل 1.

وكان هؤلاء النبلاء يصطحبون الكلاب في رحلات الصيد. أمّا بخصوص النماذج التي تؤكد هذا الرأي، نذكر نموذجا من بين العديد من رسومات موقع ألان- إدومنت بالطّاسيلي يمثّل عربة تقلّ شخصين يتوسطهما ثالث متأهب لرمي الحربة صوب زوجين من الأروية وهي أنواع من الغزلان الإفريقية تركض أمام العربة، في حين يمسك أحد الصيادين المقليّن للعربة بالأعنة كما يلاحظ في المشهد قيام شخص ثالث جالس بالقرب من حربتين منتصبتين خلفه بتزويد الرّامي بما يحتاجه من الحراب[1].

وتبدأ هذه الفترة التي تعرف لدى المؤرخين وعلماء الآثار بمرحلة الخيول، في حوالي تاريخ 1500ق.م[2].

ويبدو أنّ تقاليد الصّيد لإنسان فجر التاريخ الملاحظة على الرسومات الصخرية استمرت في التداول بعد ذلك في الأوساط الاجتماعية بنوميديا وقسم من موريطانيا في عهد الممالك الوطنية والعهد الروماني مثلما سنرى لاحقا.

شواهد من نصوص المصادر الأدبية

يبدو أنّ استيراد الرومان للحيوانات المتوحّشة من نوميديا وموريطانيا يعود إلى فترة الاستقلال السياسي لهاتين المملكتين[3]، فالدلائل التي تتعلّق بهذه العملية الاقتصادية عديدة، إذ نستشفّ من خلال قراءتنا للتاريخ الطبيعي لبلينوس الأكبر إرسال ملك موريطانيا بوخوس لحليفه الروماني سولا مائة أسد، قام هذا الأخير باستغلالها في احتفال سنة 93ق.م بمناسبة حاكميّته في روما، وقد أوفد بوخوس عددا معتبرا من الصيادين الأفارقة برفقة تلك الحيوانات بغرض قنصها في الاحتفال[4]، كما قال تيتيوس ليفيوس أنّ إفريقيا أصبحت الممون الأول من حيث الحيوانات المفترسة (africanae bestiae)[5]. ولقد مثّلت الحيوانات المتوحّشة في المغرب القديم أكبر نسبة من تلك الحيوانات التي استخدمها الرومان في عروض الصيد بروما، فهذه وصية الإمبراطور أوكتافيوس أغسطس الشّهيرة المكتشفة في آسيا الصغرى، تشيد بتنظيم

1- الشكل 2.

2- Camps (G.), «Chars protohistoriques de l'Afrique du nord et du Sahara engins de guerre ou véhicules de prestige?»,113è Congrès National des Sociétés Savantes, Strasbourg, 1988, dans IV Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord, t. II, p 282; Id., «Chars (Art rupestre)», Encyclopédie Berbère, XII, 1993, p. 1887.

3- حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء ماسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203-46 ق.م، الجزائر: دار هومة، 1996، ص. ص. 154-155؛ Lecocq (A.), «Le commerce de l'Afrique romaine», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran , XXXII , 1912 , pp 465-473 / Bertrandy (F.), «Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du nord et l'Italie (IIe siècle avant J.-C – IVe siècle après J.-C)», Mélanges de l'Ecole Française de Rome Antiquité (M.E.F.R.A), 99, 1987, 1, pp. 211-241; Lançon (B.), Rome dans l'antiquité tardive 264-312 Apres J.-C, Paris, Hachette, 1995, p. 206; Mansouri (Khadîdja), «Réflexions sur les activités portuaires d'Hippo Regius (Annaba) pendant l'Antiquité», L'Africa romana XIV, Sassari 2000, Roma 2002, pp. 515-516.

4- Pline l'ancien, Hist. Nat., VIII, 20.

5- Tite live, XXXIX , 22, 2.

هذا الأخير لألعاب الصيد ستة وعشرين مرّة، أباد خلالها ثلاثة آلاف وخمسمائة حيوان مختلف استقدم معظمها من شمال إفريقيا[1].

وتؤكّد المصادر الأدبية على أن كثرة الأسود والفهود[2]، والعسابر والضباع[3] والذئاب[4] والفيلة[5] والدّببة[6] بالمغرب القديم كان أمرا طبيعيا لتوفّر البيئة المناسبة، ويتأكّد ذلك من الاستخدام الواسع لهذه الحيوانات بألعاب المدرّجات وألعاب السيرك في شمال إفريقيا[7].

وإذا كانت عروض الصيد ومجابهة الوحوش (Venatio) تدخل ضمن ألعاب المدرّجات وتقام ملازمة لألعاب المصارعة التي كان توقيتها الزمني مواكبا لفترة ما بعد الظهر، وعلى النقيض من هذه الأخيرة كانت الفترة الصباحية مخصصة لألعاب القنص ومواجهة الحيوانات الضارية[8]. ولم يقتصر دور المصارعين والصّيادين المحترفين، أو المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام والذين كانوا يلقون للوحوش (Damnat ad bestias)[9] على مواجهة الحيوانات الضارية في ألعاب المدرّجات بالمغرب الروماني فحسب، وإنما زج بهؤلاء في عروض مصارعة الثيران[10] والخنازير البرية[11]. وفي بعض الأحيان كان متعهّد الألعاب يهدي أهالي بلدته عروض صيد ومواجهة الحيوانات دون ربط هذه التظاهرة بمباريات المصارعة، لأن العنصر الرئيسي في هذه الألعاب هو التضحية بالحيوان ذاته، الذي كانت قطعان هائلة منه تجوب المنطقة من حدود مصر الغربية حتى سواحل المحيط الأطلسي[12].

1- Auguste, Res gestae divi Augusti.

2- Strabon, Géographie, XVIII, 3, 54. .

3- Pline l'ancien , Hist.Nat., VIII, 24.

4- Pline l'ancien , Hist.Nat., VIII, 34.

5- Ibid., V, 1; VIII, 2.

6- بالرّغم من نفي بلينوس الأكبر وجود الدببة في نوميديا (Hist.Nat., VIII, 46; 54; 83)، إلاّ أنّ الدلائل المادية ونصوص المصادر الأدبية تدحض رأي صاحب كتاب التاريخ الطبيعي، كون الحيوان عثر على بقاياه في مواقع عصور ما قبل التاريخ والفترات التاريخية المختلفة بالجزائر؛ Lecocq (A.), Op.cit., pp 465-466.

7- حارش محمد الهادي، المرجع السابق، ص. ص. 154-155.

8- Blas de Roblès (J.-M.), LIBYE, Grecque, romaine et byzantine, Aix-en-Provence, EDISUD, 1999, p. 81.

9- Hamman (A.-G.), La vie quotidienne en Afrique du nord au temps de Saint Augustin, Paris, Hachette, 1979, p. 155.

10- Lequement (R.), Fouilles à l'amphithéâtre de Tébessa (1965-1968), B.A.A., suppl.2, p146, fig.179.

11- عمّار فتيحة، "فسيفساء صيد خنزير ونمر بالمتحف الوطني للآثار القديمة"، حوليات المتحف الوطني للآثار، 14، الجزائر، 2004، ص. ص. 80-88.

12- Hérodote, Histoires, IV, 174; 181.

أمّا إعدام المجرمين فكان مواكبا لفترة الظّهيرة، التي عادة ما كانت تشهد انصراف الوجهاء والأعيان لتناول وجبة الغذاء. وكان يزجّ بهؤلاء إلى حلبات المدرّجات عراة مجرّدين من الأسلحة، فتتلقّفهم الحيوانات الجائعة[1]، وقد كانت صيحات وصراخ هؤلاء تتبعث مدويّة في أرجاء المدرّج الشيء الذي جعل الآباء المسيحيون يستنكرون هذه المشاهد وينعتون تطبيق حكم الإعدام بهذه الطريقة بالجريمة[2].

ولقد بلغ هوس الجمهور بألعاب الصيد في حلبات المدرّجات درجة نسج الأساطير التي نذكر منها ما ذكره آولو جلي (Aulu-Gele) الذي تحدّث عن صداقة نشأت في إفريقيا بين أسد ورجل يدعى أندروكلوس (Androclus) حكم عليه بعد ذلك بالإعدام، فبعد أن زجّ بهذا الأخير إلى الحيوان المفترس الذي لم يسلم من مخالبه أحد، رفض الأسد التهامه له بما لقيه من حسن معامله الرجل له في إفريقيا[3]، وهذا يحدث اليوم في مشاهد السيرك التي أصبح فيها ترويض الحيوانات المفترسة أمرا شائعا استطاع فيها الإنسان أن يصاحب الحيوانات الخطيرة.

مشاهد الفسيفساء

تعتبر الفسيفساء القديمة في وقتنا الحاضر، ليس فقط ثروة وكنزا فنيا أو إرثا ثقافيا من حيث التقنيات المستعملة في إنجازها، ودقّة تفاصيل مشاهدها أو حتى روعتها وجمالها، وإنّما هي أيضا ذو قيمة وأهمية تاريخية وأثرية نظرا للمادة والمعلومات التي تتضمنها مواضيعها، حيث صورت لنا الفسيفساء الحياة اليومية للمجتمع في شمال إفريقيا خاصّة في العهد الرّوماني، من مشاهد الصيد والمصارعة وألعاب السيرك.كما كشفت الأبحاث الأثرية عن الآلاف من التحف الفنية بتقنية الفسيفساء وبمختلف الأشكال والأحجام، وقد لاقت الفسيفساء الإفريقية رواجا كبيرا واستخداما واسعا خلال فترة حكم الأنطوننيين والسيفريين خاصة في مقاطعة البروقنصلية ومقاطعة نوميديا وموريطانيا ليترسّخ فنّ الفسيفساء في شمال إفريقيا أبدع من خلاله الفنانون في التعبير عن مختلف مجالات الحياة[4].

نركّز في هذا المجال على مجموعة من اللوحات الفنية، يعود تاريخ معظمها إلى القرنين الثاني والثالث للميلاد، والتي تمدّنا بمعلومات ذات أهمّية بالغة فيما يخص أنواع الحيوانات والممارسات الرياضية المرتبطة بها، ومن بين هذه الأعمال الفنية نذكر فسيفساء تمثّل انقضاض فهد على أحد المحكوم عليهم

1- الشكل 3؛ Hamman (A.-G.), Op.cit., P. 56-157.

2- Février (Paul-Albert), « Les chrétiens dans l'arène », dans : SPECTACULA-I, Gladiateurs et amphithéâtres, Actes du colloque tenu à Toulouse et Lattes les 26, 27, 28 et 29 mai 1987, Edition préparée par Claude Domergue, Christian Landes et Jean-Marie Pailler, Lattes, Imago, 1990, pp. 265-273.

3- Aulu-Gele, Les Nuits attiques, V, 14, 5-30

4- La Ronde(Andre), «La mosaïque de l'Afrique antique», comptes rendus de l'académie des inscriptions et belles lettres, v. 145, n°1, (2001), p. 545.

بالإعدام وهي محفوظة اليوم بمتحف مدينة الجم في تونس[1]، وفسيفساء مشهدها وليمة فرق الصيد[2]، فضلا عن لوحة مصارع الأسود[3]، وفسيفساء الصيد الأكبر المحفوظة بمتحف مدينة جميلة في الجزائر[4].

تمثّل اللوحة الفنية المحفوظة بمتحف الجم مشهدا لا يقلّ أهمية عن مشهد فسيفساء زليتن (Zliten) المكتشفة بالقرب من لبدة في ليبيا، والجدير بالذّكر أنّه إذا ما أقحم المصارعون والصيادون المحترفون في حلبات المدرّجات طواعية، فإنّ الأمر بالنّسبة لهم يختلف تماما عن المحكوم عليهم بالإعدام ذلك أن هؤلاء يتم إلقائهم للوحوش مكبّلين ودون وسائل وقائية (Damnat ad bestias)، نستنتج ذلك من قراءتنا للوحة يظهر فيها تقديم شخص فريسة للوحوش، وهو يبدو بملامح متوسطية لا يرتدي سوى واقية خصر بسيطة، مكبّل اليدين من طرف شخص ثاني. في حين يلاحظ ذهاب وإياب مجموعة من الأسود والفهود على أرضية المدرّج يمتزج المشهد بنوع من الرعب من خلال انقضاض الفهد على الشّخص الظّاهر في اللّوحة، ويظهر لنا المشهد الحيوان المفترس وقد أحكم فكيه على وجه الضّحية غارزا مخالبه في جسده الذي أضحت الدّماء تنزف منه.

وتمثّل اللّوحة الثّانية وليمة فرق الصّيد (factions) في المدرّج، وهي محفوظة بمتحف الباردو في تونس، وتمدّنا بمعلومات تتعلّق أساسا بفرق الصيد التي انتظم مصارعوها في المغرب القديم، شأنهم في ذلك شأن مصارعي ألعاب المدرّج، ضمن مؤسّسات حرفية، من بينها التورسكي (Taurisci)، والبنتاسي (Pentasii)، والليونتي (Leontii)، والفغارجي (Fagargi)، والبريكسي (Perexii) والفلورنتي (Florentii) وغيرها من المؤسسات الحرفية[5]. وبالإضافة إلى احتفاظ لوحة سميرات الفسيفسائية[6] بأسماء مصارعي الحيوانات وأسماء الحيوانات ذاتها[7]، فإنّها تكشف لنا الفريق الذي كان هؤلاء الصيادون منضوين تحت لوائه، وهو فريق التلجيني (Telegenii)[8]. أمّا ميزة أبطال فرق الصيد التي كانت تنشط ضمن ألعاب المدرّجات في المغرب خلال القرن الثالث الميلادي، فكانت – كما هو ظاهر في المشهد – رموز يحملها ممثّلو الفرق، كورقة اللبلاب وساق الذرة البيضاء وعصا يعلوها هلال وتاج بخمس رؤوس. ونستشفّ من خلال اطّلاعنا

1- الشكل 3.

2- الشكل 4.

3- الشكل 5.

4- الشكل 6.

5- بخصوص شارات ورموز فرق الصيد، أنظر: الجدول المرفق.

6 Beschaouch (A), « La mosaïque de chasse à l'amphithéâtre découverte à smirat en Tunisie », CRAI , 1966, pp 134-157 ; Marou (Henri-Irenee), Décadence romaine ou antiquité tardive ?IIIème-VIème siècle, Paris : Seuil, 1977, pp 35-40 ; Briand-Ponsart (C.) et Hugoniot (CH.), l'Afrique Romaine de l'Atlantique à la Tripolitaine (146 av. J.-C – 533 ap. J.-C.), Paris : Armand Colin, 2005, p371.

7- الأمر ذاته يلاحظ في رسومات جدران حمامات الصيد في لبدة الكبرى (الشكل 8)؛ أنظر: Blas de Roblès (J.-M.), LIBYE: Grecque, romaine et byzantine, p. 81.

8- Beschaouch (A.), Op. cit., pp. 136-138; Marou (Henri-Irenee), Op.cit., pp. 35-38.

على تمثال لمحترف صيد اكتشف بحمامات سيدي غريب في تونس، ارتداء هذا الأخير لواقية خصر من الجلد مزيّنة بشعار فريقه[1].

وتمثّل اللوحة الثالثة مشهدا لصيد الأسود بحضور جمع غفير من الجمهور، وتعيدنا الوضعية التي يقوم من خلالها الصياد بقتل الأسد إلى مشهد فسيفساء مدينة تنس في مقاطعة موريطانيا القيصرية، والتي تعود إلى القرن الثالث الميلادي، وهي محفوظة بمتحف الآثار القديمة والفنون الإسلامية في الجزائر، وتمثّل مصارع يهمّ بقتل أسد ضخم. وتوحي ورقة اللبلاب التي تتوسط الأسد و المصارع انتماء هذا الأخير إلى فريق التوريسكي الذي كان ينشط في ألعاب الصيد بمدرّجات المغرب الروماني. أمّا فسيفساء مدينة كويكول (Cuicul)، التي تعرف في أيامنا بمدينة جميلة، في مقاطعة نوميديا المحفوظة بمتحف جميلة والتي تعود إلى القرن الخامس الميلادي، فهي تمثّل مشهدين متباينين للصيد في ذات اللّوحة. القسم العلوي منها يمثّل صيد الحيوانات في الطبيعة، و يظهر لنا الفنان من خلاله النّمط المعيشي لصاحب اللّوحة، في حين ينقلنا القسم السّفلي من المشهد إلى المدرّج حيث يبارز رياضيون من فريق الفلورنتي، ورموزه ورقة اللّبلاب والرقم ثلاثة، الحيوانات المفترسة.

وإذا ما أمعنا النظر في المشهد السفلي لفسيفساء مدينة جميلة، فإنّه يمكن لنا ملاحظة الجهد المبذول من طرف القائمين على هذه الألعاب من حيث إعادة تهيئة حلبة المصارعة لتعطي لنا الانطباع بأنّها بيئة غابية طبيعية. أمّا عن المشهد، فهو يمثل رياضيين في مواجهة الحيوانات المفترسة: الأول محاط بأسدين، ويرفع إحدى يديه لتحية الجمهور، ويبدو لنا الصّياد الثّاني وقد قضى على ليث في حين يخترق بحربته جسد أسد آخر، ومع هذا فهو يبدو جاثيا من التعب بسبب مواجهته للحيوانات المحيطة به و التي من ضمنها فهد. ويرتدي الشّخصان سترة قصيرة بيضاء اللّون تستر ساقا وتظهر الأخرى، وهي مزيّنة بشارة مربّعة على مستوى الصدر. كما توضحه أيضا فسيفساء زليتن (zliten)، أين نشاهد محكوما عليه مربوط إلى سارية عربة صغيرة ذات عجلتين، دفع بها إلى الميدان حيث يقابله فهد في وضعية الانقضاض، ورجل ثان قدم لأسد وثالث يحاول فك القيود التي تربط بين دب وثور يتصارعان بوحشية بواسطة مخطف[2].

أمّا اللّوحة الرّابعة فتظهر الفسيفساء مشهدا لمصارعة الدببة البنية التي عاشت في شمال إفريقيا خلال العصور الحجرية حيث يذكر بلينوس وجود دب الأطلس والدب النوميدي من ضمن الحيوانات المصارعة في السيرك خلال الفترة الرومانية بغرض التسلية والترفيه[3]، وهي الألعاب التي كان الأمراء

1- Guery (V.) et Slim (L.), «Trois matrices de plats rectangulaires à décor moulé du Bas-empire», Antiquités Africaines, 34, 1998, pp. 199-212.

2- Camps (Gabriel), «Africanae», in .2 /Ad-aguh-tahlé, Aix-en-provence, Edisud (volume 2), 1985, en encyclopédie Berbère, revue .org /889

3- Pline, VIII, 131.

الرّومان والأباطرة يقيمونها لمختلف الأغراض، كما استعمل القناصلة نفس الوسيلة خلال الحملات الانتخابية لكسب أكبر عدد ممكن من الأصوات[1].

هذا وبالرّغم من كون عروض الصّيد لا تخلو من المخاطر المحدقة بممارسيها، إلاّ أنّ السخاء والكرم الذي ما فتئ يظهره وجهاء المغرب الروماني من أمثال مجيريوس (Magerius) تجاه هؤلاء الرّياضيين أضحى مشجّعا على ممارسة هذه الرياضة. ويمكن لنا التأكد من هذا السخاء من خلال الشخصية التي تتوسط لوحة سميرات، والتي تحمل صحنا به أربعة أكياس من المال، إذ يبدو قيام الوجيه بمضاعفة أجر مصارعي فريق التلجيني من 500 إلى 1000 سسترس عن كل نمر مقتول[2]. ومع ما تمثّله العملية من نفقات باهظة، إلاّ أنّ هذا لم يمنع تهافت الأعيان والأثرياء على إهداء ألعاب الصيد لمواطني وأهالي المغرب الروماني حيث يتجلّى لنا هذا في عدّة أمثلة أبرزها قيام أحد أثرياء سوق أهراس (Thagaste) يدعى رومنيانوس (Romanianus)، بمنح مواطني مدينته والحواضر المحيطة بها عروض صيد الدببة، وإقامة مآدب العشاء المجانية[3]. وهو السخاء والكرم الذي ما فتئ يظهره المدعو مجيريوس (Magerius) تجاه أهالي بلدته في الجنوب التونسي[4].

مشاهد الأواني الفخارية ورسومات جدران الحمامات

تنتشر المشاهد المخلّدة لألعاب الصيد في ميدان المصارعة الروماني، والتي اجتهد صانعوا الفخار في المغرب الروماني في تجسيدها على الأواني والألواح الفخارية التي قاموا بصنعها والتي تزخر بها مختلف متاحف المغرب العربي. وهذه الأواني إمّا أنّها نفعية، الغرض منها الاستعمال اليومي، أو أنّها طقوسية تستخدم في الطقوس الدينية التي لها علاقة بآلهة الميثولوجيا. ونستشفّ من خلال قراءتنا للمشاهد المرسومة على هذه الأواني، اهتمام الحرفيين الشديد بإظهار أبسط التفاصيل المرتبطة بهذه الألعاب.

ومن بين التّحف الفخارية التي يمكن الاعتماد عليها في دراسة الصيد في مدرّجات المغرب القديم، لوح من الطين المشوي مكتشف في المقبرة الجنوبية لمدينة تموقادي الرومانية، هو محفوظ حاليا بمتحف تيمقاد تحت رقم الجرد (1 500 2 14، مقاييسه 44/ 29سم).[5] يمثّل المشهد الذي حزّ في اللّوح

1- Marel de ladalle (Myriam), «L'edifice du lion de sellectum, (Tunisie)», dans Africa éd., institut nationale du patrimoine, T. VII et T. VIII, p. 94.

2- Beschaouch (A.), Op. cit., pp. 136-38; Marou (Henri-Irenee), Op.cit., pp. 35-38; Hanoune (R.), «Encore les Telegenii, encore la mosaïque de Smirat!», Op. cit., pp 1568-76; Futrell (A.), Blood in the Arena: The spectacle of Roman Power, second paperback printing, AUSTIN: University of Texas Press, 2001, pp14-18. pp121-123

3- Augustin (Saint), Sermo, XXXII, 20 ; Hamman (A.-G.), Op.cit., p. 158; Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique de la chute de Carthage au début de la conquête Arabe, Paris, Flammarion, 2000, p. 263.

4- Beschaouch (A),Op.cit., pp 136-38; Futrell (A.), Op.cit., p. 121.

5- Bertrandy , op.cit, p. 214.

الطّيني قبل طهيه في النار، شاب ذو شعر قصير جعد يرتدي قميصا، يوجّه حربته صوب ثور واثب. وفي حين أحيط الحيوان في وسطه بحزام مزركش، يلاحظ على فخذه والفضاء الفاصل بينه وبين الصياد شرطة تمثّل شارات فريق التلجيني.[1]

أمّا بالنّسبة لمشاهد الصيد الملاحظة في رسومات جدران الحمامات الرومانية، فإنّ خير دليل لنا عنها هي تلك اللوحة الجدارية المزيّنة لأعلى الحائط الغربي للقاعة الباردة (frigidarium) من الحمامات المعروفة بحمامات الصّيد، في مدينة لبدة الكبرى بالجماهيرية اللّيبية، فهي تمثل صيد الفهود في ميدان المصارعة[2]. ويمدّنا المشهد بمعلومات تتعلّق في أساسها بأسماء الصيادين وأسماء الفهود الموحية، من ضمنها:

الصّيادون: Inginus، Bictor، Nuber، Ibentius.

الفهود: Rapidus (السّريع)، Fulgentus (البرق).

تقنيات القبض على الحيوانات والتّجارة بها:

من المشاهد الفريدة والقليلة التي توضحها الفسيفساء عملية القبض على الحيوانات المفترسة والتي تقدم تفاصيل فسيفساء هيبون، إذ تظهر وضع طعم متمثّل في شاة ومعزاة لجلب الحيوانات إلى داخل حيز محاط بشباك وحاجز من الصيادين يحملون دروعا، ولاستدراج الحيوانات يستعمل خيالون شعلات من نار ويدفعونها تدريجيا داخل أقفاص مفتوحة، وليست هذه العملية سهلة إذ تعرض أحد الصّيادين لهجمة فهد.

رغم إشادة المؤرخين القدامى بالألعاب المختلفة والمتعددة وحرارة أجوائها داخل مبادين المصارعة والاستعراضات ورغم استمرار عمليات قنص الحيوانات على مدى الوجود الروماني في شمال إفريقيا إلاّ أنّ المعلومات تبقى نادرة حول ظروف ووسائل اصطيادها ونقلها، فهذا النوع من التجارة لم تستقطب أقلام أولئك المؤرّخين ولا الباحثين المعاصرين الذين لم يعيروا أهمية لهذا الموضوع. فبعضا من الفسيفساء فقط قدمت مشاهدا لتقنيات القبض وأنواع الحيوانات والأقفاص المستعملة في نقلها التي كانت على الأرجح تختلف باختلاف أحجام وأوزان الحيوانات[3].

ممّا تقدم يمكن أن نستنتج أنّ أهالي وأعيان المغرب القديم اهتموا بإقامة ألعاب الصيد لاتصالها بثقافتهم المنحدرة من فجر التاريخ، والتي تختلف عن غيرها من الألعاب التي انتشرت في الوسط الرّوماني. أمّا عن السبب في ذلك فيعود إلى سهولة الحصول على الحيوانات التي يتطلبها تنظيم هذه الألعاب التي جسّدها الفن على شكل لوحات مرسومة على الصخر أو لوحات الفسيفساء أو صور

1- الشكل 7.

2- Sintes (C.), «VII: La société, La vie intellectuelle», dans: ALGERIE ANTIQUE, sous la direction de Claude Sintes et Ymouna Rebahi, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout 2003 au Musée de l'Arles et de la Provence antique, éditions du Musée de l'Arles antique, 2003, p. 231.

3- الشكل 8.

مرسومة على الجدران أو على واجهات الأدوات الفخارية، تنوعت فيها الحيوانات واختلفت أدوارها، وتميّزت المواضيع المجسدة للمشاهد في المدرجات الرّومانية عن تلك التي تنفرد بها مقاطعة موريطانيا القيصرية المجسدة في البراري. وتؤكّد الأبحاث على أنّ أحكام الإعدام عن الجرائم والمخالفين للعقيدة الرومانية من المسيحيين الأوائل كانت تتم بإلقائهم إلى الوحوش المفترسة وتتّفق على أن ذلك يعد جريمة في حدّ ذاته.

الملاحق:

اسم الفريق	الشعار	رقم الفريق	الإله الحامي
TAURISCI	ورقة لبلاب	II	ديونيسوس
TELEGENII	عصا يعلوها هلال	III	ديونيسوس
TRITURRII	عصا يعلوها هلال	III	ديونيسوس
FAGARGI	ساق ذرة بيضاء	III	؟
THEBANII	عصا يعلوها هلال	III	ديونيسوس
SINEMATII	S	III	دميتر
LEONTII	ساق ذرة بيضاء	IIII	فينوس
PENTASII	تاج بخمس رؤوس	IIIII	دوميناي
DECASII	؟	X	؟
EGREGII	عصا يعلوها هلال + ورقة لبلاب	XIII	ديونيسوس
CRESCENTII	ورقة لبلاب	III	؟
LIGNII	ساق ذرة بيضاء	III	؟
DEBOROSI(I)	∞	X	؟
FLORENTII	ورقة لبلاب	III	؟
PEREXII	ورقة لبلاب	IIII	؟
(H)EDERII	ورقة لبلاب	I	آلهة الموتى
SILVANIANI	عصا يعلوها هلال + ورقة لبلاب	II	آلهة الموتى

فرق الصيد في ألعاب السيرك والمدرّج بالمغرب القديم

BESCHAOUCH (A.), «La mosaïque de chasse à l'amphithéâtre découverte à Smirat en Tunisie», *C.R.A.I.*, 1966, p. 157; Id., « une sodalité africaine inconnue, les Perexii», *C.R.A.I.*, 1979, p. 418; Id., «Nouvelle observations sur les sodalités Africaines», *C.R.A.I.*, 1985, pp453-475.

شكل1: رسم صخري من واد جرّات في الطاسيلي، يمثّل صيد الأروية بالاستعانة بالكلاب

Lhote (H.), «les gravures rupestres de l'Oued Djerat (Tassili-n-Ajjer)», Mémoires du Centre de Recherche Anthropologiques Préhistoriques et Ethnographiques, XXV, Alger, 1975, T.I, P. 111.

شكل2: رسم صخري من آلان-إدومنت بالطاسيلي يمثل مشهد صيد الأروية

Camps (G.), «les chars sahariens. Images d'une Société Aristocratique», P. 39.

شكل3: فسيفساء من الجم تعود إلى القرن الثالث الميلادي، تمثّل انقضاض فهد على أحد المحكوم عليهم بالإعدام

متحف الجم (تونس)

Ancellin (Nicolas) et Prevot (Faustine), «trésors de l'Afrique romaine»
***GEO*, 312, Février 2005, P. 64.**

شكل4: فسيفساء من الجمّ، تمثّل وليمة لفرق الصيد في المدرّج متحف الباردو (تونس)

***SPLENDEURS DES MOSAIQUES DE TUNISIE*, texte de Mohamed Yakoub,**
Tunis: Agence Nationale du Patrimoine, 1995, p. 27.

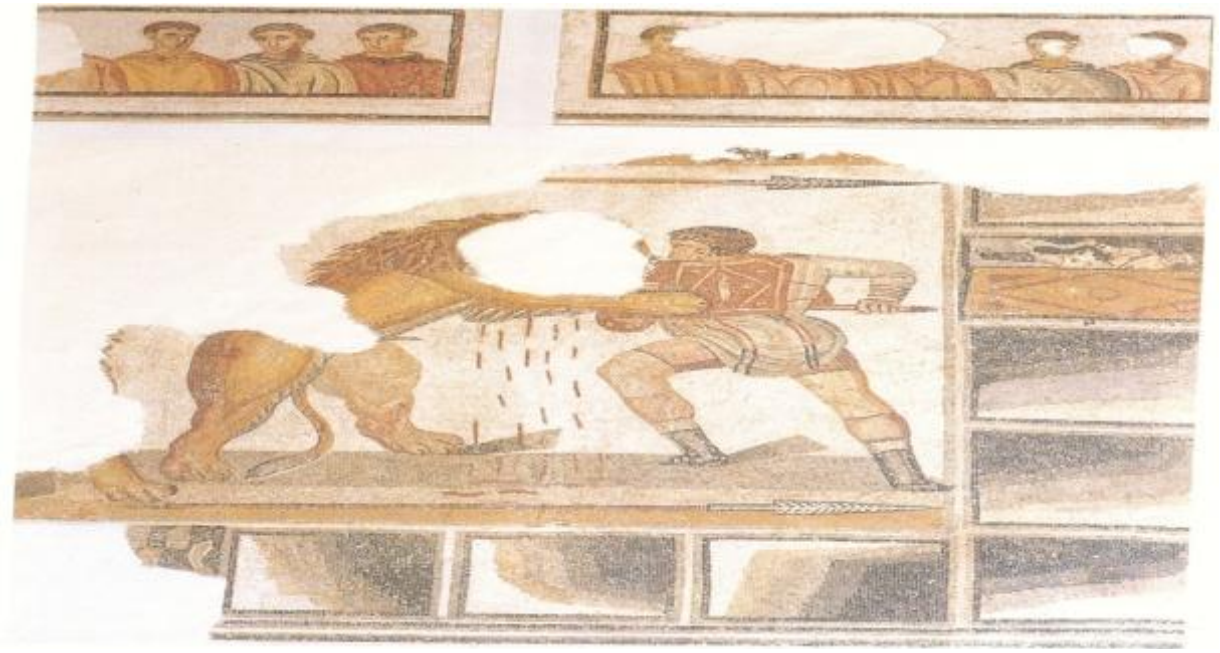

شكل 5: فسيفساء تعود إلى القرن الثالث الميلادي تمثّل مشهد صيد بألعاب المدرّج يظهر لنا من خلال المشهد مجموعة من المتفرّجين ومصارع يهمّ بقتل أسد ضخم متحف الباردو (تونس)

***SPLENDEURS DES MOSAIQUES DE TUNISIE*, p. 277.**

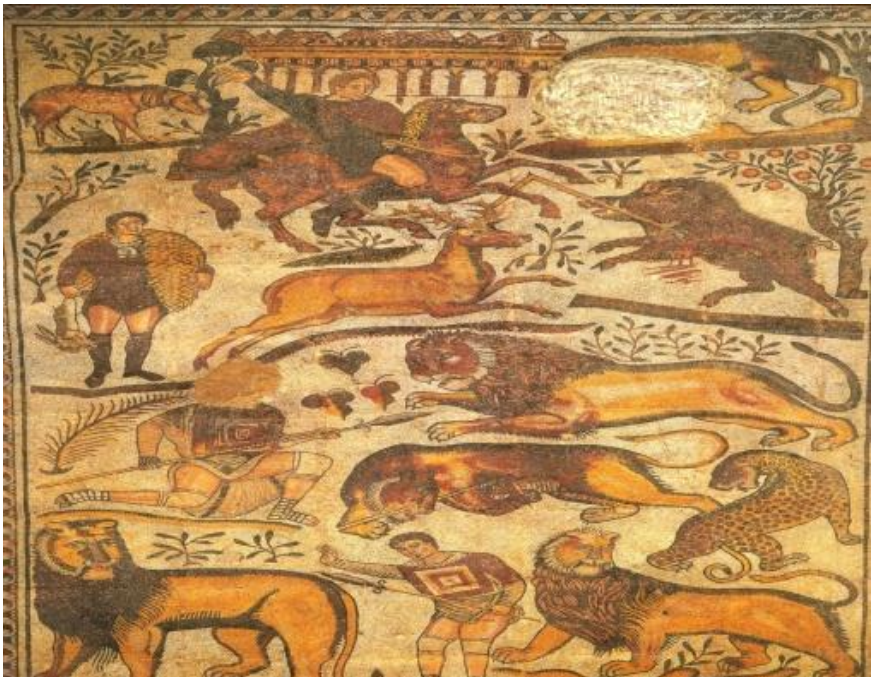

شكل 6: فسيفساء الصيد الأكبر (متحف جميلة، الجزائر)، يمثّل أعلى اللّوحة صيد الإحاشة، بينما توحي مشاهدها السّفلية إلى مصارعة الحيوانات المفترسة في ألعاب المدرّجات.

Blas de Roblès (J.-M) et Sintes (C.), *Sites et monuments antiques de l'Algérie*, Aix-en-Provence: EDISUD (Archéologie), 2003, P. 124.

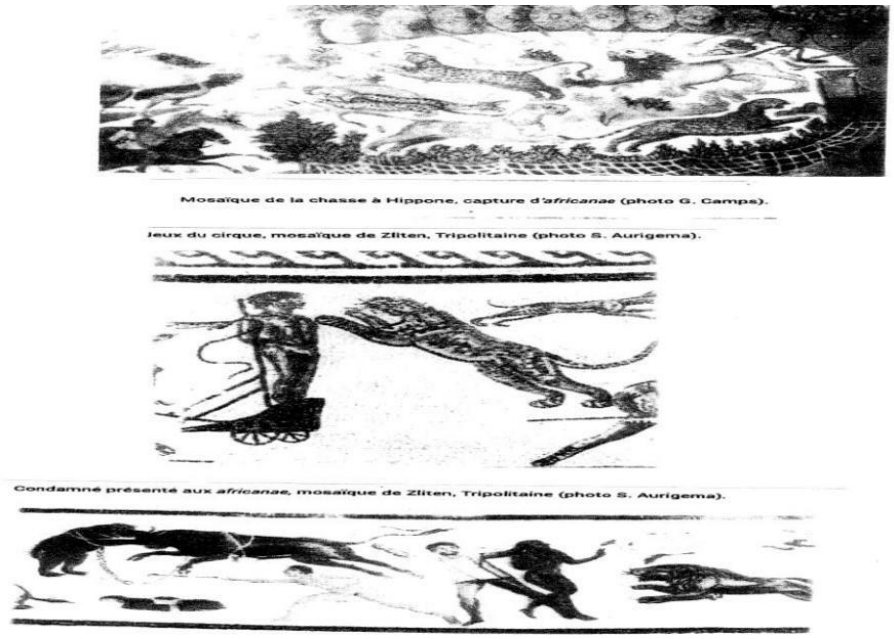

الشّكل 7: يوضح المشهد الأعلى عملية وتقنية صيد الحيوانات المفترسة، أما المشهدين الآخرين يصوران مدى وحشية الالعاب الاستعراضية وخطورتها ودمويتها.

Camps (G.), «Africanae»,Encyclopédie berbere, v. n°2, 1985.

الشكل 8: يوضّح الفسيفساء صراع الدببة البنية (الجم –تونس)

Institut virtuel de cryptozoologie,cryptozoo.pagesperso-orange.fr /dossiers/oursatlas.ht

شكل 9: مشهد مصارعة الثّيران على لوح من الطّين المشوي، (مكتشف بالمقبرة الجنوبية لمدينة تموقادي، متحف تيمقاد، الجزائر).

Sintes (C.), «VII: La société, La vie intellectuelle», dans: *ALGERIE ANTIQUE, sous la direction de Claude Sintes et Ymouna Rebahi, catalogue de l'exposition 26 avril au 17 aout 2003 au Musée de l'Arles et de la Provence antique*, éditions du Musée de l'Arles antique, 2003, p. 231.

شكل 10: مشهد صيد الحيوانات المفترسة في ألعاب المدرّج (جدران حمامات الصيد في لبدة الكبرى – الجماهيرية اللّيبية).

Polidori (R.) et autres, *LA LIBYE ANTIQUE: cités perdus de l'empire romain*, Paris: Mengès, 1998, p. 87.

البيبليوغرافيا:

- Armand Colin, 2005 de guerre ou véhicules de prestige?», 113è Congrès National des Sociétés Savantes, Strasbourg, 1988, dans IV Colloque sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du nord, t. II, Id.,«Chars (Art rupestre)», Encyclopédie Berbère, XII, 1993.
- Auguste, res gestae divi Augusti
- Bertrandy (F.), «Remarques sur le commerce des bêtes sauvages entre l'Afrique du nord et l'Italie (IIe siècle avant J.-C – IVe siècle après J.-C)», Mélanges de l'Ecole Française de Rome Antiquité (M.E.F.R.A), 99, 1987.
- Beschaouch (A), «La mosaïque de chasse à l'amphithéâtre découverte à smirat en Tunisie», CRAI, 1966.
- Briand- Ponsart (C.) et Hugoniot (CH.), l'Afrique Romaine de l'Atlantique à la Tripolitaine (146 av. J.-C – 533 ap. J.-C.), Paris.
- Camps (Gabriel), «Africanae», in .2 / Ad- aguh- tahlé, Aix-en-provence, Edisud (volume 2), 1985, en encyclopédie Berbere. revue .org / 889.
- Février (Paul-Albert), «Les chrétiens dans l'arène», dans: SPECTACULA-I, - Gladiateurs et amphithéâtres, Actes du colloque tenu à Toulouse et Lattes les 26,27,28 et 29 mai 1987, Edition préparée par Claude Domergue, Christian Landes et Jean-Marie Pailler, Lattes, Imago, 1990.
- Futrell (A.), Blood in the Arena: The spectacle of Roman Power, second paperback printing, AUSTIN: University of Texas Press, 2001.
- Gsell(S.), hist.anc. de l'af .du nord, T. 1, éd. Hachette, Paris, 1913.
- Guery (V.) et Slim (L.), «Trois matrices de plats rectangulaires à décor moulé du Bas- b empire», Antiquités Africaines, 34, 1998.
- Hamman (A.-G.), La vie quotidienne en Afrique du nord au temps Ed Hachette, Paris, 1979.
- Hanoune (R.), « Encore les Telegenii, encore la mosaïque de Smirat!».
- Hérodote, histoires, IV.
- Hugoniot (Ch.), Rome en Afrique de la chute de Carthage au début de la conquête Arabe, Paris, Flammarion, 2000.
- La Ronde(Andre), «La mosaïque de l'Afrique antique», comptes rendus de l'académie des inscriptions et belles lettres, v. 145, n°1, (2001).
- Lançon (B.), Rome dans l'antiquité tardive 264-312 Apres J. C., Paris : Hachette, 1999.
- Lecocq (A.), «Le commerce de l'Afrique romaine», Société de Géographie et d'Archéologie de la province d'Oran, XXXII, 1912.
- Lequement (R.), Fouilles à l'amphithéâtre de Tébessa (1965-1968), B.A.A., suppl. 2.

- Mansouri (Khadîdja), «Réflexions sur les activités portuaires d'Hippo Regius (Annaba) pendant l'Antiquité», L'Africa romana XIV, Sassari 2000, Roma 2002.
- Marel deladalle (Myriam), «L'édifice du lion de sellectum,(Tunisie) »,dans Africa, ed,institut nationale du patrimoine, T. VII et T. VIII.
- Marou (Henri- Irenee), Décadence romaine ou antiquité tardive, IIIème-VIème siècle, Paris, Seuil, 1977.
- Pline, l'Ancien, Histoire naturelle, livre VIII, trad. A. Ernout, éd. les belles lettres, Paris, 1952.
- Polybe, histoire, trad., Dennis Roussel, éd. Gallimard, Paris, 2003.
- Sintes (C.), «VII: La société, La vie intellectuelle», dans: ALGERIE ANTIQUE, sous la direction de Claude Sintes et Ymouna Rebahi, catalogue de l'exposition 26 Avril au 17 Aout 2003 au Musée de l'Arles et de la Provence antique, éditions du Musée de l'Arles antique, 2003.
- Strabon, Geographie, tome XV, livre XVII, 2ème partie, trad. Laudembach Benoit, Ed Les belles lettres, Paris, 2014.
Blas de Roblès (J.-M.), LIBYE : Grecque, romaine et byzantine, Aix-en-Provence : EDISUD, 1999.

– حارش محمد الهادي، التطور السياسي والاقتصادي في نوميديا منذ اعتلاء مسينيسا العرش إلى وفاة يوبا الأول 203–46 ق.م، الجزائر، دار هومة، 1996.

– العدواني محمد الطاهر، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ج.1.

– عمّار فتيحة، "فسيفساء صيد خنزير ونمر بالمتحف الوطني للآثار القديمة"، حوليات المتحف الوطني للآثار، 14، الجزائر.